غموض في مصر القديمة

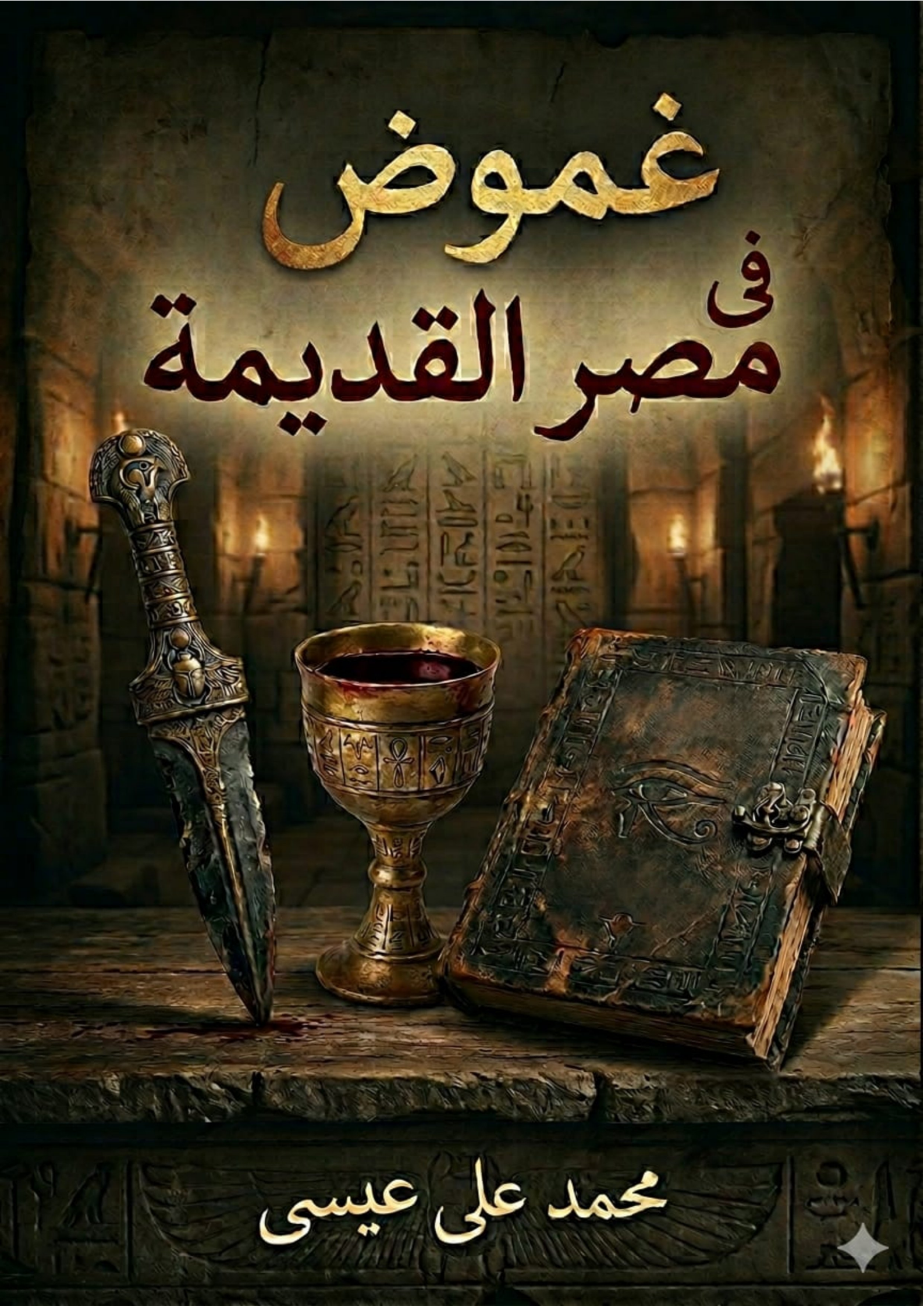

محمد على عيسى

بعد فجر يوم ممطر بمدينة بنى سويف فى الوقت الحالى ينزل كلا من عالمى المصريات د/ واتسون وإلى جانبه د/هانك الباحثان بقسم المصريات فى جامعه أوكسفورد بالمملكه المتحده إلى المقبرة المكتشفه حديثا وقد أتيا إلى مصر خصيصا لحل لغز تلك المقبرة ليتحدث د/واتسون قائلا : " لم تنتظر للصباح أليس كذلك !! "

د/هانك :" لن نجد مقبرة كتلك كل يوم ، حتى وإن كنت أحمل دما ملكيا مثلك".

ليجيب د/واتسون قائلا : " إنها أحد العجائب ، تشبه المقابر الملكية لكن لم يُنقش على جدرانها أى شىء ، حتى النعش لا توجد به أى نقوش ".

د/هانك : " واتسون ، تعال إلى هنا ، هناك ما يجب أن تراه ".

د/واتسون : " يا إلهى ماهذا ، من هذا الذى يرغب أن يُكتب على نعشه (عاش بائسا ومات سعيدا) وإلى جانبه تمثال لإمرأة ".

د/هانك : " ليس تمثال ، إنه جثمانها متحجرا ".

د/واتسون : " لا أظن أننا نستطيع حل هذا اللغز ، لا أمانع أن أتخلى عن الباقى من عمرى لأعلم حقا حكاية هذا الرجل وتلك المرأة".

د/هانك : " دون ملاحظاتك ودعنا نعد للفندق ".

وإذا برياح خفيفه تهب إلى داخل المقبرة قد أسقطت المصباح من يد د/واتسون ، ليسمع بعدها الاثنان صوت أقدام خفيفه تنزل إلى المقبرة مصحوبا بصوت صفير خفيف وإذا بها إمرأة فاتنة الجمال ذات رداء أبيض ، خمرية اللون ذا شعر أسود طويل وعينان زرقاوتان لتتحدث قائلة : " مرحبا ".

د/هانك: " سيدتى هذه منطقه بحثيه ولا يسمح لكى بالتواجد هنا ".

السيدة الجميلة : " أعلم ذلك لكننى سمعت د/واتسون يخبرك أنه قد يتخلى عن الباقى من حياته ليعرف حكاية هذه المقبرة ".

د/هانك : " كيف تعلمين اسمه ؟ من فضلك سأستدعى الأمن ".

د/واتسون : " هانك توقف دعنا نسمع السيدة ، ما اسمك سيدتى ؟ ".

السيدة الجميلة :"وهل يخفى صاحب الدم الملكى !! ، يمكنك أن تنادينى بالساحره ألست ساحره ؟ ".

د/واتسون : " بلى أنتى كذلك ، أخبرينا ماذا حدث هنا ".

لتخرج بعدها حفنه من الرمال من يدها وتنثرها فى الهواء لتلتصق بجسد د/هانك الذى تحجر ف الحال

الساحره : " لا تقلق سيصبح صديقك بخير ، تريد أن تعلم ما حدث ، ستراه عينيك ، أعطنى يديك وانظر إلى عيناى ".

وما إن فعل ما أمرته به حتى جرحت يده بخنجر برونزى وتضعه بعدها فوق النعش الأثرى بينما تنزف يد د/واتسون وتتساقط قطرات الدم من يده قطرة تلو الأخرى وما إن سمع القطره الثالثه بأذنيه ترتطم بالأرض وبينما لا يزال محدقا بعينيها حتى ذهب إلى عالم أخر يرى ويسمع فيه ما يحدث قبل ألفى عام

****

بينما يجلس الفرعون بقصره فى مدينة طيبه بجنوب مصر وإلى جانبه زوجته يستمعان إلى شرح كبير الكهنه والمسئولين عن المقابر الملكيه عما سيُكتب على الجدران من معارك خالده خاضها الفرعون الشاب وما يجب أن تحويه المقبرة من مقتنيات وجميع الخدم المخلصين الذين ستحولهم الساحره إلى تماثيل صغيرة لخدمة الفرعون بعد عودته للحياه الأخرى يتحدث الفرعون قائلا : " هل انتهينا هنا ؟ ".

كبير الكهنة : " ستحضر الساحره غدا لتنهى التعاويذ والطلاسم وما يجب كتابته على باب المقبرة لحمايتها ".

لينسحب بعدها كبير الكهنه من المكان بعد الاستئذان لتتحدث زوجة الفرعون قائلة : " مابك يا عزيزى ، أراك قلقا بعد عودتك من حروبك الأخيرة ".

الفرعون : " حسنا لقد انتصرنا فى النهاية ، أنا فقط قلق مما هو قادم ".

ليركب بعدها الفرعون مركبه الذى تتلألأ حوله مياه النيل بعد شروق شمس اليوم التالى التى تعكس الذهب المطعم ببدن المركب محدثا نفسه قائلا : " ها أنا ذا خضت الدنيا ذهابا وإيابا ودحرت ودفنت كل أشرار الأرض ، يهابنى حكماء الصين وقياصرة روما لكن لم يعد هناك مكان لى بهذه الحياة ، فعلت كل ما يجب فعله وسطرت تاريخى بالبلاد وملأت تماثيلى المعابد وينادى بإسمى كل الكهنه ، أنهيت مهمتى لكن طالت الرحلة وطال الإنتظار لماذا أريد العيش الأن وقد خذلت حبيبتى وتسببت فى موتها لأنها لا تمت للدم الملكى بصلة ، فلا يجب على الفرعون الزواج إلا بمن هى ذى دم ملكى ، فلا يجب على الدم الملكى أن يُدنَس ، ماذا عن قلبى أنا لماذا دنَسته !! ".

وما إن توقف المركب عند مرساه وجد الفرعون كبير جنده بإنتظاره ويطلب منه المجىء مسرعا إلى المقبرة الملكيه وما إن وصلا حتى وجدا زوجة الفرعون إلى جانبها الساحره الموكله بالتعاويذ وحماية المقبرة تخرجان من هناك ، يلحقهم كبير الكهنه من الداخل ، ليتحدث الفرعون قائلا : " أخبرنى الجُند أن الباب أُغلق عليكم واستمرت الرياح بالمنطقه لساعات ما الذى حدث ؟".

الساحره : " عذرا أيها الفرعون العظيم إنه خطئى أنا لقد أردت إنهاء العمل بسرعة لأبهركم ، فقد عدت إلى مصر حديثا بعد غياب ".

زوجة الفرعون : " لقد فعلتى حقا ، سننتظرك على العشاء الليلة ".

وما إن ابتعدت الحسناوتين قليلا عن باقى الرجال همس الفرعون بأذن كبير الكهنه : " أيها الكاهن ما كان هذا ؟ ".

كبير الكهنه : " تلك اللعينه أقوى ساحرة رأيتها بحياتى لقد أنطقت الحجر ونقشت الطلاسم وحولت الخدم إلى تماثيل صغيره بإشارة من إصبعيها ، إن وجودها لا ينذر بخير أبدا ".

الفرعون : " دعنا نرى ما سيحدث ".

وما إن حضرت الساحره للعشاء جلس الفرعون ومن بعده إلى الطاولة تلك الفاتنه ينتظران نزول زوجته لتنضم إليهما حتى تحدثت الساحرة قائلة : " أخبرنى يا فرعون البلاد تبدو مهموما ، أى الأمور تشغلك ؟ ".

الفرعون : " وهل أبدو كمن يحتاج نصحك ومشورتك ، لا تنسى من أنتى ولا من أنا".

الساحره : " أنا أعرف جيدا من أنت ، لكن هل تعرف أنت نفسك ؟ ".

الفرعون : " دعينى أخبرك شيئا ، هناك فرقٌ كبير أن تخرجى من هنا برأسك على جسدك ، وبجسدٍ تتبعه رأسك ".

الساحره : " حسنا أخبرنى ، هل ما زلت ترى وجهها على الماء ؟ ".

ليقترب منها الفرعون وقد أمسك برقبتها ويستطرد قائلا : " كيف تعرفين ؟ ".

ليتبعه حارسه وقد أخرج سيفه ، ليشير إليه الفرعون بالإبتعاد وما إن ابتعد حتى أفلت الفرعون يده عن رقبتها لتحاول هى تلفظ الكلمات بصعوبه

قائلة : " برأيك ألا تشبهنى تلك المسكينة التى ألقت نفسها إلى الماء بعدما قمت بلومها وهجرها لأنها ليست ذا دم ملكى ، لقدتسببت فى كل ما عانته ، هل نسيتها؟".

الفرعون : " لا لم أنس أبدا ، كم تمنيت أن أعود إلى ذات اليوم فأصطحبها بعيدا لأعيش بلا اسم ولا منصب ولا ملك بمكان لا أكون فيه فرعون البلاد ".

الساحره : " أخبرنى أين جثمانها أعلم أنك ما زلت تحتفظ به ؟ " .

الفرعون : " إن هذا سرى أنا وحدى ولايجب أن يعلمه أحد ، تلك المعاناه أنا من استحقها ".

الساحره : " ماذا إن كنت أستطيع إنهاء معاناتك وذنبك . أستطيع أن أعيدها للحياة مرة أخرى ".

الفرعون : " هل أنتى جادة ؟ " .

الساحره : " هذا إن كنت تحبها كفاية ".

الفرعون : " بعد العشاء ، سيصطحبك أحد الجند إلى مركبى ، ستجدين جثمانها محنطا هناك ".

وما إن انتهى العشاء حتى حدث ما أخبر الفرعون به ، وفى صباح اليوم التالى لحق الفرعون بالساحره إلى المركب حيث سمع صراخها مدويا بالطلاسم وما إن انتهت حتى طلبت نقل الجثمان لمقبره ملكيه

ليرسو المركب بعدها إلى جانب المقبره الملكيه وما إن دلفا للداخل مع المومياء المحنطه حتى وجد الفرعون زوجته وإلى جانبها كبير الكهنه معا لتنظر إليه وتتحدث قائلة : " إذن صدقت الساحره لقد خنتنى أيها الفرعون ، احترمت موت حبيبتك ولم تحترم حياتى ، تريد إنهاء تاريخى معك لتحيا من أجل إمرأة أخرى ".

لتنثر الساحره الرمال فى الهواء بوجه زوجة الفرعون وكبير كهنته وتنطق الطلاسم حتى تحول الإثنان إلى حجر ليتحدث الفرعون بعدها قائلا : " أيتها العاهره لأجل ماذا كل ذلك ؟".

الساحره : " لأتأكد أنك ستفعل ما أمرك به ، إن كنت سأخسر أختى فستخسر حاضرك ولن يتبق لك شيئا بمقبرتك الجميلة ، إما أن تطعن قلبك لأستطيع إحيائها أو ستظل زوجتك وكبير كهنتك صخرا للأبد ".

الفرعون : " حسنا إنه الوقت إذن ، لقد خضت كل حروبى رغبة فى التخلص من قلبى ومن ذنبه وها أنا ذا ".

الساحره : " ربما أنت من تستحق ذلك ".

الفرعون : " أنتى محقه ، لم تكونى مضطره لإيذاء أحد ، سأفعلها من أجلها على أى حال ".

الساحره : " لا عليك لقد أحببت رؤيتك تعانى ".

ليمسك بعدها الفرعون خنجرا ويستطرد قائلا : " أخبريها أننى لم أنسها ، ولو أننى كنت أستطيع أن أحيا هذا اليوم معها مرة أخرى لرحلت معها ولم أكن لأتخلى عنها أبدا إلى أخر حياتى ولمسحت كل تاريخى من على قبرى ومقبرتى وكتبت (عاش بائسا ومات سعيدا) ".

ليطعن بعدها قلبه بنفسه وتسيل دماؤه لتتناثر بعدها رمال الساحره بالهواء مرة أخرى لتملأ الكان وماهى إلا دقائق حتى اختفت الساحره والفرعون المصاب والمومياء ، لتتحول بعدها زوجة الفرعون ، وكبير الكهنه إلى هيئتهما البشرية مرة أخرى ، لتنظر إلى ماحولها فى ذهول ثم تتحدث إلى كبير الكهنة قائلة : " أيها الكاهن لم يعد للفرعون مكان الأن لقد خذلنا جميعا سأنصبك ملكا لى وللبلاد وستستبدل إسمه بإسمك على كل تماثيله حتى مقبرته هذه ، اليوم كما محى الفرعون حاضره سنمحى ماضيه ومستقبله عقابا له ".

كبير الكهنه : " أمرك يا ملكة البلاد ".

****

على الصعيد الأخر يستيقظ الفرعون على ضفة النيل ليتحسس قلبه لكنه لم يجد الخنجر ولا دما ، سليما صحيحا فنظر حوله ليجد حبيبته لازالت على قيد الحياة تحمل حجرا كبيرا بين يديها وتحاول إلقاء نفسها بالنيل ومازال يستوعب حقيقة أنه قد عاد بالزمن مرة أخرى إلى اللحظه التى تغيرت فيها حياته ، ليحاول إنقاذ حبيبته ، وما إن ألقت نفسها بالماء حتى ألقى نفسه ورائها وأنقذها وما إن هدأت حتى بدأ فى الحديث قائلا : " أعتذر عن كل شيء ، إقبلينى زوجا ولنرحل من هنا ، كل ما أريده هو أن أصبح إلى جانبك ولا شيء أخر ".

لتتخذ بعدها حياة الفرعون مسلكا أخر إلى وفاته حتى طلبت حبيبته من أختها الساحره أن تحولها إلى حجرا إلى جانبه فلا تريد أن تحيا دونه بعد وفاته ، فقد عاشا معا جنبا إلى جنب وسينتظرا الحياة الأخرى دون أن يفرقها الموت .

****

لم يشعر د/واتسون بالوقت فقد أحس أن الأمر دام لثوان معدوده وما إن استفاق ونظر إلى ساعته وجدها قد قاربت على منتصف الليل ليتحسس مكان الجرح بيده فلا يجد أثر له وما إن نظر إلى جانبه حتى وجد صديقه د/هانك وقد عاد لهيئته البشرية مرة أخرى نائما ليهرع إليه د/واتسون قائلا : " هانك هل أنت بخير ؟ ".

د/هانك : " رأسى يؤلمنى ماذا حدث ؟ ".

د/واتسون : " لن تصدق ما رأيت ، لكن أين تلك اللعينه!! ، أم أن كل ما رأيت كان أوهاما وهلاوس لنقص الأكسجين هنا بالأسفل !! ".

ليجد صوت يخرج من الظلام من خلفه يهمس قائلا : " لا بالطبع ليست أوهام يا دكتور ".

د/ واتسون : " عليكى اللعنه أنتى الساحره حقا ".

د/هانك : " واتسون ما الذى يحدث ؟ ".

د/ واتسون : " تلك المرأة عمرها أكثر من ألفى عام ، وقد أتت إلى هنا لتعيد هاذين إلى الحياة مرة أخرى ، أليس كذلك أيها الماكره ".

الساحره : " لقد أعجبت بذكائك حقا يا دكتور ، الأن وقد علمت لغز المقبره هل أنت مستعد للوفاء بعهدك "

لتخرج خنجرا برونزيا من ردائها

وتستطرد قائلة : أنت تعلم إذن ما الذى يجب أن تفعله بهذا بالخنجرلتنقذ حياة صديقك هنا ، يا صاحب الدم الملكى ، أليس كذلك ؟ ".